جامعة المسيلة قسم التاريخ

دعامة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر

التخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

المقياس: الاستشراق وتاريخ الوطن العربي المعاصر

الأستاذ/ د.عبد القادر خليفي

المحاضرة الثالثة: دوافع الحركة الاستشراقية وأهدافها ج2

ثانيا/ الدافع السياسي الاستعماري: وهو العامل الأوضح في هذه الحركة، فالاستشراق في صورته الأولى تطلع معرفي وهدف ثقافي، ولما امتدت مطامع الغرب في الشرق لأهداف إستراتيجية واقتصادية كان الاستشراق هو جهاز المعلومات القادر على أن يمد الأجهزة التنفيذية بمخططات جغرافية واجتماعية وثقافية، ويستعرض بدقة مكوناتها وعوامل قوتها وضعفها.

لقد كان للمد الاستعماري في العالم الإسلامي دور كبير في تحديد طبيعة النظرة الأوربية إلى الشرق، وخصوصا بعد منتصف القرن التاسع عشر، وقد أفاد الاستعمار من التراث الاستشراقي كما تعزز موقف الاستشراق بهذه السيطرة، وقد تواكبت مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الاستشراق وفي مضمونه مع مرحلة التوسع الأوربي في الشرق.

وفي هذا الصدد يقول المستشرق الألماني أولريش هارمان Ulrich Harmann ": كانت الدراسات الألمانية قبل عام 1919م أقل براءة وصفاء نية، فقد كان كارل هينريش بيكر وهو من كبار مستشرقينا منغمسا في النشاطات لسياسية، حتى أنه أصبح في عام 1914م شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في إفريقيا والهند كدرع سياسية لمواجهة البريطانيين "

وفي فرنسا، كان هنالك عدد من المستشرقين يعملون مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية فعلى سبيل المثال كان المستشرق الكبير دي ساسي، هو الذي تولى ترجمة البيان الموجه إلى الجزائريين عام 1830م، وكان يستشار بانتظام في المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزارة الخارجية وحتى الحربية.

لم تكن علاقة الاستشراق بالاستعمار مجرد إضفاء طابع التبرير العقلي على المبدأ الاستعماري بل كان الأمر كما يذكر المفكر إدوارد سعيد أبعد من ذلك وأعمق، فالتبرير الاستشراقي للسيادة الاستعمارية، قد تم قبل حدوث السيطرة الاستعمارية على الشرق، وليس بعد حدوثها، فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته، من أجل فرض السيطرة عليه وإخضاع شعوبه وإذلالها.

" فالمعرفة بالأجناس المحكومة أو الشرقيين هي التي تجعل حكمهم سهلا ومجديا، فالمعرفة تمنح القوة ومزيد من القوة يتطلب مزيدا من المعرفة، فهناك باستمرار حركة جدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية ".

وفي هذا المضمار، سعى نابليون بونابرت قبل غزو مصر الى معرفة كل ما يمكن معرفته عن هذه البلاد، وكان من بين مصادره الأهم رواية الكونت دي فولني Comte de Volney المنشورة عام 1787م عن رحلته في مصر وسوريا والتي ناقش فيها احتمالية توسع فرنسي في منطقة الشرق Levant وهو ما وقع فعلا.

وهكذا اتجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار بعد الاستيلاء السياسي والعسكري على بلاد المسلمين إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسهم، وتشكيكهم في معتقداتهم وتراثهم حتى يتم له في النهاية إخضاعهم بشكل كامل للحضارة الغربية.

يقول الباحث زكاري لوكمان: " كانت المؤسسات البحثية أيضا متورطة بعمق في الغالب في المشروع الاستعماري، فالجمعيات العلمية والفروع الأكاديمية التي ظهرت في أوربا، لتعزيز دراسة الشعوب والثقافات الأخرى، اعتبرت الاستعمار أمرا مسلما به، يجب ألا نفاجأ بأن كثيرا من المستشرقين سلّموا بتفوق الحضارة الغربية، وحق الأوربيين في حكم الآسيويين والأفارقة. "

ثالثا/ الدافع العلمي: لاشك أن الدوافع العلمية الاستكشافية كانت حاضرة في النشاط الاستشراقي فقد اقبل المستشرقون على دراسة الإسلام والحضارة العربية الإسلامية، بدافع التعرف على الآخر والاستفادة من عناصر قوته في بعدها الايجابي، حيث كان لهم الفضل الأول وبامتياز في الخروج به من الدائرة اللغوية العربية،ليسافروا به عبر محطات لغوية عالمية، فترجموه إلى اللغات الفرنسية والإسبانية، والانكليزية ،والإيطالية،والألمانية، والروسية و الهولندية، والدانماركية

وغيرها، وقد قادهم التفكير المنصف إلى الجهر بعظمة الإسلام، وبتفوق الحضارة العربية، وأعلن العديد منهم إسلامه.

يعتقد أحد الباحثين، أن تزايد الكتابة الأوربية عن الإسلام والشرق في القرن الثامن عشر الميلادي كان مفكرو التنوير يشنون حملة ضد ظلامية الكنيسة وطغيانها الفكري، والقيود القمعية التي فرضتها على الفكر الحر، وساهم هذا الموقف، في فتح الطريق أمام توجه أكثر موضوعية في تعاطيه مع الإسلام وبدأ يظهر إلى السطح الشك والمراجعة لخطاب السخرية، ومخالفة المعقول، الذي اتسمت به الكتابات الكنسية في العصور القروسطية، وبات من الواجب كما يؤكد التنويريون، دراسة مراجع التاريخ الآسيوي، ومصادر الدين الإسلامي بتجرد وموضوعية.

لقد حدد المستشرق الألماني رودي بارت Rudi Paret (1901-1983م) (الذي قدم ترجمة متميزة للقرآن الكريم) مهمة المستشرق المعاصر فكتب: " إن واجبه هو اختراق الأفق الفكري الذي تفرضه البيئة حولنا، وإلقاء نظرة إلى عالم الشرق لكي نتعلم من الكيان الغريب علينا كيف نحسن فهم إمكانيات الوجود الإنساني، وكيف نحسن بهذا فهم ذاتنا نحن في نهاية المطاف ".